تفتح ملف النقد العراقي

الانشغال بالتنظير وراء تخلف النقد عن المنجز الابداعي (٢-٢)

من أجل فك الاشتباك الحاصل منذ سنوات عديدة بين ما هو منجز إبداعي ومنجز نقدي، واختلال كفتي التوازن بينهما، المدى الثقافي فتح تلك النافذة للوصول إلى وجهة نظر تكون اقرب إلى الحقيقة، وإزاحة كيل الاتهامات من بعضهما في سبيل النهوض بالواقع الإبداعي العراقي.
كان السؤال في الأسبوع الماضي موجهاً إلى مجموعة من النقاد العراقيين الذين واكبوا الحركة الإبداعية العراقية عن كثب.
لماذا يتّهم النقد العراقي بالتنظير، ويهمل المنجز الإبداعي بلا معاينة؟
"المدى الثقافي" يطرح السؤال نفسه على مجموعة من المبدعين أصحاب الشأن للإجابة عليه.

المدى الثقافي

هل التنظير ضرورة؟

الروائي احمد خلف: عندما تهب رياح التغيير أو تحصل أحداث جسام في بلد ما، فإن الكثير من الموازين والأعراف يعيبها خلل أو عطلٌ وتفتقد المنطق الطبيعي السليم، بل الأكثر من هذا تجد ثمة هجمة غير متوقعة لقوى وعناصر قد تبدو غريبة على الوسط الذي يعجز بدوره على عزلها وتحديد تأثيرها على الحياة اليومية سواءً بالنسبة لحركة الثقافة أم على الناس الآخرين.
وعلى صعيد الثقافة العامة، ينبغي أن نتذكر ما حصل أيام الحرب العراقية الإيرانية، حيث كتب العشرات من الأشخاص قصصاً وروايات وقصائد، الكثير منها ليس لها صلة حميمية في الكتابة السردية، بل ربما لا علاقة لكتابها (البعض منهم أعني أولئك الذين ما كانوا يحلمون في أي يوم مضى بالنسبة لهم، أن تطبع لهم الدولة كتاباً ـ قصصاً أو روايات) بفن كتابة القصة أو الرواية، وكان على النقد أن يواكب (الهبة) غير الطبيعية للقصص والروايات وأن تسند بالتنظير تلك القصص اليابسة والروايات الخالية من المعنى، ما دامت تتحدث عن موضوعة الحرب والدفاع عن الوطن كان هذا أبرز الذرائع التي واجهها النقد الأدبي في تلك الحقبة..
يحدث الآن الشيء نفسه، بعد الذي حدث في العام ٢٠٠٣، حيث عشرات الأعمال تصدر في بغداد وسوريا ولبنان إضافة الى عدد من محافظات القطر هي الأخرى شرعت تطبع المزيد من الكتب والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية، وثمة منظمات وهيئات متعددة راحت تصدر مطبوعات خاصة بأعضائها وروادها وأصبح من الميسور جداً طبع كتابين لمؤلف واحد في أكثر من دار أو مؤسسة للنشر، وبعضها طبعت بأسعار زهيدة كما هو حاصل الآن .. ثانيةً أعيدت النغمة السابقة في الدعوة للمتابعة النقدية للنتاج الإبداعي، وهو مطلب حقيقي سبق لنا تأشيره في أكثر من مكان (لكن الأمر في الحالتين مبالغ في طرحه) وسواءً جاء هذا المطلب بصورة قسرية أم اختيارية، فهو حق من حقوق المبدع ليعرف درجة الجودة في نصوصه، ما دام النقد الأدبي قادراً على ذلك وأيضاً لأن المبدع يثقَ بالناقد ويريد الاستماع إليه ومعرفة رأيه، وليدرك الجوانب الإيجابية ومواطن الخلل بالنص .. وبعد الاحتلال أو التغيير، وجدنا العديد من الأدباء والشباب خصوصاً، قد هبوا للكتابة والنشر ولعبت كثرة الصحف والمجلات الأدبية والثقافية دوراً تشجيعياً لهم، وليس ذلك بغريب أو بعيد عن التشخيص ولكن ماذا يفعل النقد الأدبي أمام حشد متعاظم من النصوص، وما علاقة التنظير الأدبي والفكري، بالمتابعة النقدية المفترضة أو المطلوبة، أعتقد أن التنظير نزعة بل وضرورة لا بد منها وحالة تأخذ بها نظرية الأدب باستمرار في أي مطبوع أو كتاب يختص بالثقافة التخصيصية أو العامة، أن التنظير هو طرح إستراتيجية عمل تهم الناقد بقدر ما تهم القارئ الممتاز الذي يريد أن يعرف أحد أبرز وأهم جوانب المعرفة النقدية، ثم هو تجسيد (التنظير) لوعي الناقد ودرجة ثقافته ورؤياه إزاء الظواهر المختلفة، وليس التنظير حالة من حالات البطر أو التعالي، وليس كل تنظير قادرا على إصابة الغاية أو الهدف وغالباً ما يفشل التنظير في معالجة الغرض المراد الوصول إليه، إذا كان تنظيراً ضعيفاً أو مقلداً لآخرين أكفاء، وأخيراً التنظير يكشف عن أصالة الناقد وأحقيته أو يفضح هزال وضعف أفكاره التي قد يكون أغلبها مكتسباً أو أن الناقد يعيش على موائد الآخرين الدسمة، صحيح أن التنظير هو حالة من حالات تشوف جوهر النص وإدراك خفاياه وكشف المسكوت عنه أو الغامض والسري من النص، لكنه أيضاً يتبادل مع المعارف الأخرى نوع من الموازنة المعرفية للاستفادة والاستثمار الطبيعي .. غير أننا وجدنا أن الناقد الذي يدير وجهه عن النصوص، يضيع الفرصة على متابعيه بمعرفة النص الجيد من النص عديم القيمة .. كيف يجيز الناقد لنفسه إهمال قرائه والمهتمين بكتاباته ولا يهتم بتطوير ذائقتهم الثقافية؟ إذا ما تركهُ الناقد نهباً لعشرات الآراء المتضاربة؟ لقد بالغ بعض النقاد في الاهتمام بالتنظير وعرض العضلات الفكرية للإشادة بخصوصيتهم وأحقيتهم في الدخول في مباراة مع النقد العربي والعالمي أيضاً، وهو أمرٌ يحق للناقد تقديره وإبداء الرأي فيه، وفي ما يخص موقفي؛ أعتقد أن إعطاء المسألة أهمية واهتماماً أكثر مما ينبغي، سوف يعطل لدينا الكثير من الضرورات، لأن ميزة المبدع الجاد هو الانشغال بنصه وتجويده بعدها يأتي دور الناقد في الدرس والتحليل، عاجلاً أم آجلاً.

احمد خلف

النقد وغياب التطبيق

الروائية لطفيّة الدليمي: لا يمكننا الفصل بين الواقع الثقافي العام والنقد، فمشهدنا الثقافي يحفل بالارتباك والاختلال وتغلب على المشهد حال من التكرار والركود والفوضى، ويعود ذلك إلى غياب الوعي النقدي للسياسة والمجتمع بشكل عام، خضوعا للحسابات السياسية والاجتماعية والنفعية، فلم نجد منذ عقود دراسات معرفية وثقافية أو فلسفية أو فكرية نابعة من طبيعة مجتمعاتنا يأتي بها نقاد لهم اهتمامهم الفكري والمعرفي، فالنقد لا يركن إلى مجرد قراءة نص وتطبيق نظرية ما عليه بل يتعدى ذلك إلى رفد المجتمع برؤية واضحة عن التحولات السياسية والاقتصادية والفلسفية الحاصلة في عالمنا والتي انعكست على أوضاعنا خراباً وتفكيكاً ثم ركوداً وانغلاقاً وتقهقراً، يكتب نقادنا عن الحداثة وما بعد الحداثة والمجتمع يتقهقر، بينما نما ونشأ النقد الغربي في أحضان مجتمع الحداثة والتطور وما كان ليتطور النقد لولا عصر التنوير وجهود الفلاسفة واللغويين أمثال سوسور وجاكوبسون وكانط وهيدجر وهيجل، بمعنى أن النقد الغربي الذي يستعين نقادنا بنظرياته نشأ في حاضنته الثقافية التي أسست للمجتمع المدني- إلى جوار نمو الفكر النقدي الذي يخضع كل شيء للنقد والتشكيك والتأويل بدءاً من السياسة إلى الاقتصاد، الى الإبداع، وبهذا تطور النقد الغربي ووجد مساحة الحرية للتطبيق العملي في وسط متناغم يؤمن بالحوار وليس في مجتمع قائم على بنى تقليدية تتحكم فيها عقلية أحادية النظرة تقدم إجابات جاهزة عن كل شيء وتحتل عقل الإنسان وتلغي فاعليته ..
من جهة أخرى، في فوضى أوضاعنا واضطراب حياتنا لا نملك نسق إنتاج ثقافي محدد لنستطيع الحكم من خلاله على فرع من فروع الثقافة ومنها النقد ، لكننا نستطيع تشخيص الحالة وليس الحكم عليها: نعم النقد عندنا معني بالتنظير والمصطلحات المستعارة من مدارس نقدية حداثية وماب عد حداثية يصعب تطبيقها على أعمال إبداعية هي نتاج مجتمع لا حداثي، ويتطلب نسق الإنتاج الثقافي تكريس النقد كرافد ثقافي قائم، فتعتمد دور النشر نقادا معلومين لتقديم عروض وقراءات لإصدارتها الجديدة في الصحف ، فلكل دار نشر أجنبية نقاد وكتاب يقدمون إصداراتها للقراء، فضلا عن إقامة ندوات وموائد مستديرة تقدم فيها دراسات نظرية وتطبيقات نقدية رصينة لأهم النتاجات الإبداعية خلال عام ، تقوم بها الجامعات ومراكز الدراسات ودور النشر، وعلى هذا فالمسألة أكبر من اتهام النقد بالتقصير في متابعة الإبداع لأسباب تتعلق بالمجتمع والسياسة ونسق الإنتاج الثقافي وانحسار دور الثقافة وارتباك المجتمع الراهن وتخلخله وكفاحه المتواصل من اجل البقاء..

لطفية الدليمي

عزوف النقد عن المتابعة

الشاعر طالب عبد العزيز: على الرغم من أن المنجز العراقي في الشعر والقصة والرواية ظل حبيس المكتبات الشخصية ،ولم يُعاين بشكل جاد من قبل النقاد، إلا أنه بشهادة الكثيرين كان جديرا بالملاحظة والدرس، ولا نقصد الجيل الجديد من الكتاب والشعراء إنما المشهد العراقي برمته ظل خارج العناية النقدية العراقية، وهذه حقيقة تتحمل أكثر من رأي، ففي الوقت الذي تقيم وزارة الثقافة والمؤسسات الثقافية الأخرى مهرجاناً تلو الآخر ويتحدث العديد من النقاد عن هذا وذاك، وهذا يعني أن الحراك الثقافي حافز لكثير من المؤسسات، إلا أن تأسيسا واضحا لم يبن خلال السنوات العشر الماضية في أقل تقدير، إذ لا أحد من هؤلاء قال لنا : المنجز لا يستحق، كما لم يقل لنا آخر خلاف ذلك، وهكذا ضيّع علينا النقاد الخيط والخرز وعين القلادة معا.
نطّلعُ – قرّاءَ ومتابعين – إلى نصوص في الشعر والقصة والرواية تستحق القراءة، ولا تخلو من الجدة والأهمية، نصوص كتبها أصحابها بعناية بالغة ، لكنها ظلت تمر مرور الكرام على أقلام النقد العراقي، الذي يعاني ومنذ أمد بعيد مشكلة التنظير والمصطلح، المشكلة التي لازمت نقادنا منذ مطلع السبعينات حتى اليوم، ويبدو أن الوقت لم يحن بعد لحل أزمة المصطلح التي أدخلها المترجون المغاربة ، الذين ترجموا نصوص بارت وتودروف وجومسكي وسواهم من الفرنسية إلى العربية، القضية التي أربكت مفاهيم غالبية المشتغلين في حقل الثقافة ، لكننا نقع بين الآونة والأخرى على كتب في النقد، مترجمة إلى العربية، تخلو من التعقيد، فيما نقع على أخرى غاية في التعقيد. يذهب النقد إلى المفاهيم وتعميتها ويتحاشى النصوص، ونقرأ لكثيرين منهم وهم يكتبون عن تجارب شعرية، روائية... لكنهم لا يفصحون عن قيم حقيقية داخل النصوص تلك، وحتى في المؤتمرات الخاصة بالنقد لا نسمع رأيا أو تصريحا واضحين، ومن وجهة نظر شخصية ربما، فان مرحلة نهاية الثمانينات وحتى مطالع التسعينات من القرن الماضي يمكننا أن نتحدث عن ملامح نقدية عراقية، حين تسلم د. حاتم الصكر مسؤولية تحرير مجلة الأقلام مثلا، إلى جوار ذلك كانت أسماء مماثلة لنقاد عراقيين وضعوا الأسس الأولية لنقدية عربية – عراقية لم يكتب لها أن تستمر إذ سرعان ما فكك الحصار والحرب على العراق بالمشهد البسيط هذا، وغادرت الأسماء تلك، تفرقت في البلدان، ثم أن جيلا شابا من النقاد حاول مواكبة ثقافة ما بعد ٢٠٠٣ لكنه ما زال يحاول.

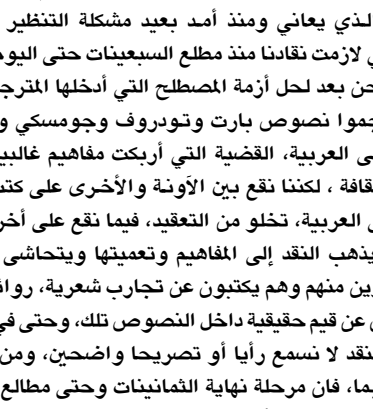
طالب عبد العزيز

الهرب إلى التنظير

القاص سعد محمد رحيم: إن الوظيفة الأساسية للناقد الأدبي هي الاشتغال على النصوص. وبراعة الناقد تتجلى في قدرته على قراءة النصوص وتحليلها عبر استكشاف أبنيتها وأنساقها ومستوياتها الدلالية، واستشفاف معانيها، وإظهار ما تمثلتْ من نصوص سابقة، ومقارنتها معها، فضلاً عن تأشير ما يعزز فرادتها، وتأشير مواضع الضعف والاختلال فيها، الخ.. لكن الناقد من أجل أن يمضي في أداء مهمته لابد من أن يكون متبنياً لمنهج نقدي، استوعب مفاهيمه ومقولاته وآليات اشتغاله. ولا بأس في أن يخوض أحياناً في نطاق النظرية، وأن يبحث في المسائل المنهجية ومشكلاتها، وأن يفحص المفاهيم والمقولات الأساسية التي يستخدمها في العملية النقدية، والناقد البارع هو الذي يستطيع أن يتحرر من محددات المنهج الصارمة، وأن يزاوج بين مفاهيم ومقولات أكثر من منهج واحد ونظرية واحدة، وحتى أن يجترح لنفسه مفاهيم ومقولات جديدة تكون أكثر فاعلية وإثماراً في مجال إنتاجه النقدي، على أن يظل نصب عينه، أبداً، نقد النصوص. والنص النقدي يمكن أن يكون نصاً مجاوراً للنص الأصلي (المنقود)، أو أن يكون مرشداً للقارئ يعينه في فك مغاليق هذا النص. وغالباً، من خلال الانغماس في قراءة النصوص نقدياً، يُغني الناقد المنهج والنظرية ويعمقهما ويطورهما، ويُبرز مواطن القصور فيهما.
سقتُ هذه المقدمة وفي ذهني واقع النقد الأدبي في العراق الذي يبدو ومنذ السبعينيات متخلفاً عن واقع الإنتاج الأدبي العراقي.. وهذا لا يعني غياب الأسماء النقدية الكبيرة بقدر ما يعني عدم وجود نشاط نقدي واسع (ممأسس وله تقاليده وهويته) يواكب غزارة الإنتاج الأدبي (شعراً وقصة ورواية ومسرحية وسيرة ومقالة وحتى نصوصاً نقدية... الخ)، ويقوّمه ومن ثم ينهض بحياتنا الأدبية والثقافية. ذلك أن عافية الثقافة دالة لعافية النقد والعكس صحيح. وقد قاد قصور النقد إلى تسلل عدد كبير من أدعياء الأدب إلى الساحة الأدبية بعد أن استسهلوا عملية الكتابة والنشر ووجدوا من يروج لنتاجهم المصاب بفقر الإبداع، من كتّاب الإخوانيات، وأشباه النقاد، والصحافيين غير المؤهلين إلى حد مؤسٍ، لكتابة الذهنيات غير المركّبة يُعْجزُها، أساساً، اكتشاف البنية المنطقية للنص الإبداعي.. فما بالكم ونحن نتحدث عن وضع يد الناقد على مفتاح هذه البُنية؟ البُنية المنطقية تمسك بالنصوص الأدبية عموماً والسردية على وجه الخصوص. فهي تشتمل على مجموعة العلائق التي تسوّغ مقبولية سيرورة النص وحركيته لدى المتلقي؛ وهي التي تتحكم بانسيابية الترابط بين المضمون والشكل. إنها، ببساطة، البُنية الأخطر بين سائر بُنى النص السردي، بالأخص. والـ(قلّة) التي استثنيتها من نقّاد الأدب العراقي وميّزْتُها عن الـ(جُلّ) هي التي لا تعدم الوسيلة لاكتشاف هذه البُنية.

احمد خلف

طه حامد الشبيب

النقد الأدبي واستحقاقات الميدان الإبداعي

الروائي طه حامد الشبيب: واقع النقد العراقي يؤشّر، تصريحاً لا تلميحاً، إلى انصراف جُلّ النقاد في العراق (نُقّاد الأدب أعني) إلى التشبُّث بالبحث النظري دون (التورُّط) بالاشتباك نقدياً مع النصوص الإبداعية. وأقول (جُلّ النقّاد)، لأنْ ينبغي لي أنْ أستثني (قلّةً) منهم امتازوا بجرأتهم على اقتحام الميدان الإبداعي.. تلك الجرأة المتأتية من توفّرهم على شروط الاشتغال النقدي.
لنَر كيف تشتغل هذه الـ(قلّة) فنعرف بعد ذلك ما الذي يعانيه ذلك الـ (جُلّ). هذه الـ (قلّة) مطّلعة إطّلاعاً تفصيلياً على النظريات النقدية في العالم، حدَّ التشبُّع، لكنها أبداً لا تجعل من أيّ من تلك النظريات مرجعاً مباشراً لطروحاتها النقدية وهي تدرس نصّاً إبداعياً بعينه. في هذا الصدد، تؤمن هذه الـ (قلّة) بأنّ لكل نصّ إبداعيّ (مسطرةً) خاصة به.. وطبعاً الحديث هنا يدور حول النصوص الإبداعية الأصيلة، تلك التي لا تقتفي أثر أيّ نصّ آخر. مثل هذه النصوص تأتي معها، ضمناً، (بمسطرتها) النقدية الخاصة بها. إنها (مسطرة) خاصة فريدة لا يمكن استخدامها في دراسة النصوص الأخرى. وماهرٌ من النقّاد مَنْ يعثر عليها داخل النص الذي يدرسه.. بل، في واقع الأمر، مَنْ ليس بمقدوره منهم العثور عليها لا يمكن عَدُّهُ ناقداً أصلاً. فإذن أول شروط الاشتغال النقدي هو القدرة على اكتشاف (المسطرة) النقدية المُضمَرة في النص الإبداعي.
ثم يأتي توفّر هذه الـ (قلّة) على الذهنية العلمية، ولا أقول التخصّص العلمي. هذه الذهنية تسبغُ على صاحبها قدرة سبر أغوار النص، على نحو يُمكّنهُ من وضع يده على مفاتيح البُنى.. كلّ البُنى، وفي المقدمة منها البنية المنطقية. الذهنيات غير العلمية.. أعني

الثقافة النقدية العميقة

الروائي حنون مجيد : قد يبدو هذا الرأي مغالياً فيه بعض الشيء إذا وضعنا بنظر الاعتبار ، المنجز النقدي الذي أخذته على عاتقها نخبة من النقاد الشباب، الذين واكبوا الحركة الثقافية العراقية وقدموا طروحاتهم النقدية بشأنها ، مستلهمين في ذلك ثقافات محلية وعربية وعالمية، وبجهود تكاد تصل حدود الكفاح والنضال، في وقت عزّ فيه المصدر والمرجع على حد سواء. لقد برزت في هذا الشأن قدرات أعلنت عن كفاءاتها وإرهاصاتها الواعدة منذ أولى لحظات بزوغها ، فكانت من ثم وعداً صادقاً ومتصاعداً مبشراً بيقينية عالية مما هو مأمول منها .
بيد انه إن كان لا بد من الحديث عن النقد بصورة عامة والنقاد الكبار الذين كانوا يملأون الساحة بنشاطهم النقدي التطبيقي عموماً فإن هذا هو ما ينطبق عليهم بوجه خاص.
ليس من شك ومما هو غير خاف على الجميع ، في أن الساحة الثقافية العراقية تعرضت الى أقسى صور الحرمان الثقافي حين شمل الحصار الثقافة مثلما شمل الطعام والشراب ، فأمسى المثقف العراقي يبحث عن مصادر تزود ثقافته بالمعرفة الجديدة التي كانت يومياً تعرب عن نفسها في بلدان العالم القريب والبعيد.
بل إن أقسى ما كان يحسه ويستشعره الناقد العراقي الحساس والغيور، هو الفارق الكبير والهوّة العميقة التي كانت تفصله عن غيره من النقاد العرب المجايلين ، والغزارة المعرفية التي حصل عليها أولئك وحرم هو منها.
ولعل المهمة الأبرز التي كانت تلوح أمام هؤلاء النقاد هي اللحاق بأقرانهم أولئك ، وكانت المهمة عسيرة إذ لم يكن معينها المتعين غير ثقافة الاستنساخ التي لم تكن هي الأخرى متاحة أمام الجميع ، أو ما كان يستحصله هذا من كتاب أو كتب ليعيرها لذاك ، وهكذا في دوامة من بحث أشبه بالمشلول ، افتقرت الساحة الأدبية الى الثقافة النقدية العميقة التي تتيح للناقد تمكناً معرفياً يؤهله لمتابعة الأعمال الأدبية الجادة التي تستلزم مواجهاتها عدة نقدية وافية ، وربما كان هذا ، وهو طموح مشروع مع ما يضاف إليه من أسباب أخرى، وراء هجرة العقول النقدية البارزة إلى دول قريبة وبعيدة ، لتحقق غاياتها الكثيرة وقد نجحت في ذلك مثلما عرفنا من تجارب محسن الموسوي، عبد الله إبراهيم ، سعيد الغانمي ، حاتم الصكر ، ثم طراد الكبيسي وحيدر سعيد وغيرهم.

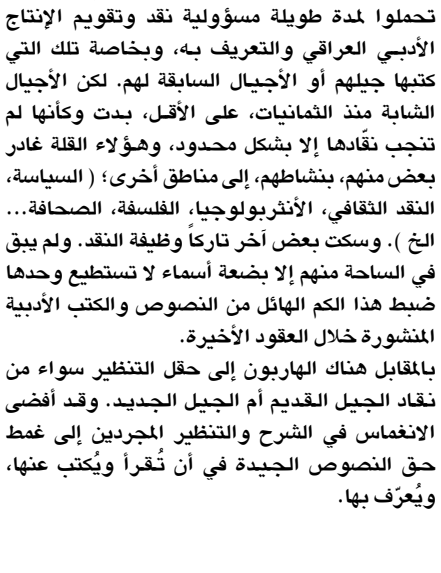
حنون مجيد